

## المحاضرة الرابعة: المنهج الاستقرائي عند جون ستوارت مل

يُعدُّ جون ستوارت مل من بين هؤلاء الفلاسفة والمناطق الذين اهتمَّ بالمنهج والطرائق العلمية في البحث خصوصا إذا تعلَّق الأمر بالاستقراء يتناسب مع القدر الهائل من المعلومات والكُشوف والظواهر التي تصدَّى لها العلماء ووضَعوا أيديهم عليها في زمنه، لقد كان الغرض الحقيقي للبحث العلمي ناجم عن البيئة الفكرية التي نشأ فيها، وهي بيئة مُتأثرة إلى حدِّ بعيد بالمذهب التجريبي في الفلسفة الإنجليزية، يقول فهمي زيدان: "أتجاه جون مل الفلسفي إذا أشرنا إلى فرنسيس بيكون ودفيد هيوم وأوجست كونت. رفض المناهج الصورية والفلسفات الميتافيزيقية التي شاعت في الفلسفة الإغريقية القديمة وفلسفة العصر الوسيط. كما أنكر أي نوع من أنواع المعرفة الفطرية أو القبلية، التي لا تقوم على أساس الخبرة الحسية ولا تتَّجه مباشرة نحو الوقائع الجُزئية"<sup>1</sup>.

ينتقد "مل" الاستقراء التقليدي في وجهه الأرسطي من عدة زوايا:

-بعدم جدواه في المعرفة العلمية لعقم نتائجها حيث أنه يُقرُّ حقائق سبق اكتشافها، فهو من ثمة لا يُضيف إلى معرفتنا جديدا، ف "مل" يُعرِّف الاستقراء: "بأنه الانتقال من المعلوم إلى المجهول على غرار الاستقراء الأرسطي التام الذي لا ينتقل من المجهول، وإنما يكتفي بتلخيص ما هو معلوم"<sup>2</sup>.

- يضيف مل نقد الاستقراء الأرسطي الذي مفاده أن القياس ليس نوعا مستقلا من الاستدلال، وإنما هو تابع للاستدلال الاستقرائي معتمد عليه ذلك لأنه يجب أن تكون إحدى مقدمتي القياس على الأقل كلية، ولكن تلك المقدمات القياسية الكلية نصل إليها أولا باستقراء، فالاستقراء إذن سابق والقياس تابع، لذا يجب رفضه كاستدلال ذي قيمة.

<sup>1</sup> - محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، 1977، ص 73.

<sup>2</sup> - توفيق الطويل، جون ستوارت مل، دار المعارف، مصر، (د.ط، د.ت)، ص 102.

- إنَّ المنطق عند أرسطو أسلوب للبحث التجريدي منفصلاً عن الواقع يهتم بصورة التفكير ولا يُعبّر أيّ اهتمام إلى مادّته، لذا نجد مل مُسايرة لمذهبه الحسّي في ربط الفكرة بمواضيعه اعتبر الأصل في المعرفة إدراك المحسوس ثم يتبعه إدراك المُجرّد، فكان منطق الاستقراء عنده هو الأصل والمنطق الصوري فرعاً منه، "وكان طبيعياً ذكر المعاني المجرّدة والماهيات الخالصة بمعناها التقليدي المعروفة لأنّها في نظره لا تقوم إلاّ مجسّمة للمادة"<sup>3</sup>.

وبالتالي لم يكن الاستقراء الأرسطي بالنوع من الاستقراء الذي يتحمس له جون مل فاعلن أنه ليس استقراء بالمعنى الدقيق.

### 1/- أسس الاستقراء عند "مل":

إن غرض مل من مبحث الاستقراء هو تحليل الاستقراء وضبط طُرقه، ولا تُهمّه النتائج أو القوانين تحليل الطريقة التي نحصل بها على الحقائق العامّة، هي بالقوة تحليل الاستقراء كلّها، أنّ الاستقراء يعتمد على التجربة والمُلاحظة، بالإضافة إلى الفرض، فإذا أيدّته التجربة في الحاضر والمستقبل يُصبح قانوناً، فلا سبيل إلى اكتشاف قوانين الطبيعة إلاّ بالاستقراء، وبما أنّ القوانين ليست سوى قضايا عامّة، فإنّ الاستقراء في هذا السياق هو عند مل "الوسيلة التي نكتشفُ ونُبرهن بها قضايا عامّة، فالمنهج الاستقرائي يهدف إلى اكتشاف القوانين العامّة التي عن طريقها تُفسّر الظواهر الطبيعية، والقوانين، وهي قائمة:

#### أ- مبدأ الاطراد:

يؤكد مل أنّ الاعتقاد بهذا الاطراد يستلزم تدعيماً وتأسيساً، وإلا سيكون الاستقراء بدون أساس. يعتبره مل عماد العلم، وتصور الاطراد في نظره لا يقوم على الاستدلال ولا عن استعداد طبيعي أو اعتقاد حدسي، وإنما قائم على الاستقراء، وأنه تبرره الخبرة الإنسانية النابعة من ملاحظتنا اليومية نؤكدّه وتدعمه رغم أن الاطراد عند مل لا يمكن نبرهنه إلاّ أن

<sup>1</sup> توفيق الطويل، جون ستيوارت مل، مرجع سابق، ص 141.

النوع الذي يعنيه، ويدافع عنه هو ما بسميه بالاطراد العلمي<sup>4</sup>، أي ذلك الاطراد بين حوادث الارتباط بينها ارتباط علي.

### ب- مبدأ العلية:

إن ما يرفضه مل من مبدأ العلية تكمن في هذه النقاط الأساسية:

- أولاً، يرفض تصور العلية على انها الماهية، أي ذلك العنصر الكامن في باطن ذلك الشيء الخفي غير المشاهد.

- ثانياً، تصور العلة على أنه علاقة ضرورية بين حادثتين التي يملها العقل على الأشياء، إما في صورة فكرة فطرية أو تصور قبلي.

- وأخيراً، يرفض مل ما سمته الفلسفات الميتافيزيقية العلة الأولى.

لذا ما يعنيه مل بالعلة، أي تلك الحادثة أو الواقعة التي تكون سببا لظهور حادثة أخرى ويسمى الثانية معلولا. فهي أصل كل رأي في الاستقراء وليست بالعلة الأولى أو العلة الفاعلة، بل العلة الطبيعية يجعلها مبدءا ضروريا لخضوع كل الظواهر الطبيعية لها، ولا يصلح في نظره الاستدلال الاستقرائي بغير هذا المبدأ، فهو قانون كلي أي يشمل كل ظواهر الطبيعة بدون استثناء<sup>5</sup>.

### ج- الفروض:

يدافع مل عن الفروض باعتباره أهم أهداف العلم إقامة قوانين نفسر ما نلاحظه وما يجري أمامنا في العالم الطبيعي، وبما أن كل القوانين عليّة نتساءل ما علة ما يحدث؟ كيف تنتج العلية؟ الجواب لا يتطلب تكديس الملاحظة والتجارب بل تفسيرها تفسيراً علياً. نصل إليه عن طريق فرض نفترضه. وبهذا، فالفرض العلمي شرط أساسي عند "مل" ولا يظل فرضاً بل بيان يتخذ طريقه إلى اثبات أو انكاره للوقائع في العالم الطبيعي<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، مرجع سابق، ص 77.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 83.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 90.

د- تحقيق الفروض:

إنّ تحقيق الفروض هي المرحلة الأخيرة التي يكتمل بها البحث العلمي التجريبي، وليس يكفي الأخذ بفرض من الفروض أن تثبته بعض التجارب والملاحظات، بل لابدّ من المثابرة على تكرار التجربة حتى يتمّ التأكد تأكّدا تاما من صحّة الفروض ولا يصبح الفرض قانونا علميا إلاّ بعد اختبار دقيق، لهذا حرص "مل" على تطوير طرائق تحقيق الفروض.

## 2/- قواعد البحث العلمي:

من الواضح ان العالم إذا وضع فرضا لتفسير ظاهرة ما، وغذا أثبت الواقع خطأ هذا الفرض، وجب عليه أن يعدل عنه إلى فرض ثان يشهد الواقع بصوابه، لكي يكون نظرية علمية، ولتمحيص هذه الفروض وضع مل أربعة طرق لتحقيق الفروض، وسماها الطرق الاستقرائية، وهي على التوالي:

### أ- منهج الاتفاق أو التلازم في الوقوع:

يقول هذا المنهج إن علينا أن ننظر في مجموعة الأحوال المولدة لظاهرة ما. فإذا وجدنا ان ثمة عاملا واحدا يظل باستمرار موجودا على الرغم من تغير بقية السوابق أو المقدمات فمن الواجب أن نعدّ هذا الشيء الثابت الواحد هو علة لإحداث الظاهرة<sup>7</sup>.

### ب- طريقة الاختلاف:

يمكن التعبير عن هذه الطريقة أنه إذا لوحظ شيء معين (أ) ونحن بصدد البحث عن ظاهرة ما يحدث بطريقة متكررة بلا استثناء في حدوثه سابقا على شيء آخر (ب) لوحظ تابعا له بطريقة متكررة بلا استثناء، وأن السابق (أ) يلاحظ عدم حدوثه بطريقة ثابتة حين لا نجد (ب) فإن (أ) علة (ب). مثال ذلك، فالاحتكاك مثلا أحد علل توليد الحرارة بين جسمين لاننا حين نحدث احتكاكا بين الجسمين ترتفع درجة حرارتها وحين يمتنع الاحتكاك لا نتولد تلك الحرارة<sup>8</sup>.

<sup>7</sup> مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص 163.

<sup>8</sup> محمود فهمي زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، مرجع سابق، ص 95.

### ج- طريقة التغير النسبي:

تنطوي هذه الطريقة لا على اكتشاف العلاقة العلية بين شيء وآخر أو حادثة وأخرى، بل على ملاحظة الاختلاف الذي يطرأ على احدهما غذا حدث اختلاف في الآخر. كما أن الزيادة أو النقص في المعلول مرتبط بالزيادة أو النقص في العلة في الحالات التي تسمح بالزيادة أو النقص، وهي تبحث أيضا عن العلاقة الكمية بين العلة و المعلول<sup>9</sup>.

### د- طريقة البواقي:

تقول هذه الطريقة أنه إذا كان لدينا ظاهرة ما وتحتوي على عناصر متعددة وعرفنا بالطرق السابقة العلاقة العلية بين بعض من هذه العناصر فإن ما تبقى من تلك العناصر تكون العلاقة بينها علاقة علة ومعلول. إذا كنا نعرف أن (أ) و (ب) و (ج) علل ل (س) و(ص) و(ع) وأمكن اثبات ان (ب) علة (ص)، وأن (ج) علة (ع) فإننا نستطيع ان نستنتج أن (أ) علة (س)<sup>10</sup>.

هذه هي قواعد الاستقراء التي وضعها "مل" للثبوت من صواب الفروض العلمية، تحديد العلة في سياق التلازم والتعاقب، أضاف إليها الطريقة القياسية للتحقق من صدق الفروض التي يتيسر التثبت منها بالملاحظة والتجربة، وهكذا يثبت الباحث من صحة القوانين العلمية التي يهدف إلى وضعها العلم.

### المحاضرة الخامسة: المنهج التجريبي عند ديفيد هيوم

لقد قصد هيوم بالمنهج التجريبي تتبع واستقراء موضوعات الفلسفة من معرفة وأخلاق انطلاقا من بدايتها الأولى، وقد اعتبرت بحوث هيوم وأراءه من إرهابات علم النفس التجريبي الحديث. ومن ثم فإن محاولته تطبيق المنهج التجريبي على الموضوعات الأخلاقية

<sup>9</sup> المرجع نفسه، ص ص 95-96.

<sup>10</sup> المرجع نفسه، ص 96.

بشكل خاص هو أن يتحول إلى مشرح الطبيعة البشرية والوصول إلى أهم المبادئ والقواعد التي تحكم الطبيعة البشرية والوصول بذلك الدقة العلمية التي تميزت بها العلوم الطبيعية في مجال الأخلاق، لذا فما طبيعة المنهج عند دافيد هيوم؟ وعلى أي أساس بنى منهجه؟ وهل نجح في تطبيقه على الطبيعة البشرية؟.

## 1/- طبيعة المنهج عند ديفيد هيوم:

إن القاعد الأساسية التي تصدر عنها تجريبية ديفيد هيوم والتي يقيم عليها مذهبه هي: أن المعرفة باختلاف درجاتها إنما ترجع إلى الإحساس والفكر اللذين يردان المعرفة إلى مصدر وحيد هو الآثار الحسية. فإدراكات العقل الإنساني ترجع إلى حسين متميزين ولأثر فعال للعقل فيهما هما:

الانطباعات: الآثار الحسية وهي أقوى في العقل أثرا وأوضح ظهورا.

الأفكار: وهي نسخ عن الانطباعات، أي هي مجرد انعكاسات باهتة للإحساسات.

فالعلاقات بين الأفكار يتم اكتشافها بواسطة عملية الفكر، والأفكار البسيطة (كاللون)، ومركبة (كالتفاحة) التي لها لون وطعم ورائحة. ويتحليل الأفكار المركبة نجد أنها حسية بسيطة لا غير<sup>11</sup>. إن الخبرة الحسية مصدر معرفتنا الوحيدة وليس لدينا أفكار فطرية، كما أنها محدودة بحدود حواسنا وأفكارنا. لذا استطاع في بحثه في الطبيعة البشرية التوصل إلى فكرة أساسية من خلال استعانتة بالملاحظة باعتبار إن السلوك الإنساني سواء كان معرفيا أو أخلاقيا أو فنيا هو الإحساسات.

## 2/- المنهج التجريبي في دراسة الطبيعة الإنسانية:

لقد أخذ هيوم إحياء تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الطبيعة البشرية من الإنجازات التي حققها نيوتن لعلم الطبيعة أو الفيزياء. اكتشف نيوتن عدداً قليلاً من المبادئ التي تحكم كل حركة فيزيائية سواء على الأرض أو في الأفلاك، وبنظر هيوم إلى الطبيعة البشرية على

<sup>11</sup> - لأيوب أبو دية، العلم والفلسفة الأوروبية الحديثة من كوبرنيك إلى هيوم، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2009،

أنها في النهاية طبيعة، يمكن دراستها والوصول فيها إلى المبادئ الأساسية الحاكمة لها تماماً مثلما أمكن لنيوتن أن يتوصل إلى مبادئ الطبيعة الفيزيائية، ولأن العلم النيوتوني هو في الأساس علم للحركة، فقد نظر هيوم أيضاً إلى علم الطبيعة البشرية على أنه علم للحركة، لكنها الحركة النفسية لا الحركة الفيزيائية، وبذلك انطلق من المبادئ الأساسية التي تحرك النفس الإنسانية مثل الانفعالات والأحاسيس، والمشاعر، مؤسساً عليها نظريته في المعرفة وفي الأخلاق. واعتبر النموذج العلمي الذي يجب على جميع العلوم إتباعه والاقتراء به، لأن تطبيق المنهج الفيزيائي هو الضامن الوحيد في نظره لعلمية الفلسفة، ومن ثم دقة وموضوعية نتائجها. وهذا ما دفع به إلى أن ينشئ علم تجريبياً لطبيعة الإنسان والعقل يستخدم فيه المنهج التجريبي على طريقة نيوتن<sup>12</sup> من أجل الوصول إلى قوانين، والتحكم في السلوك الإنساني.

وإذا كان نيوتن يهدف إلى تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الطبيعية، فإن الأول كان يحاول أن يمدّ مناهج العلم النيوتوني على ساحة العلوم الإنسانية آنذاك. وكما صرح في مدخل كتاب "رسالة في الطبيعة البشرية"، كان يعتقد بأن كل العلوم لها علاقة ما بالطبيعة البشرية، ويقول إن ذلك أمر واضح في المنطق، والأخلاق، والنقد والسياسة، أما الأخلاق ومذهب النقد (أي الجمال) فيعالجان أذواقنا وعواطفنا، أما السياسة فتدرس وحدة الناس في المجتمع. ويبدو أن الرياضيات، والفلسفة الطبيعية، والدين الطبيعي تهتم بموضوعات غير الإنسان، بيد أن لها صلة أيضاً بهذه الطبيعة، إذ تُعرف عن طريق الإنسان، والإنسان هو الذي يحكم على ما هو صادق وما هو زائف في هذه الفروع من المعرفة.

ولذلك فإن هيوم قد وضع لبحثه في الطبيعة البشرية عنواناً فرعياً هو "محاولة لإدخال المنهج التجريبي في الموضوعات الأخلاقية"، وهو يقصد بالموضوعات الأخلاقية كل أجزاء كتابه: الفهم الإنساني والانفعالات والأخلاق. لم يكن هيوم هو أول من بحث في الطبيعة

<sup>12</sup> عبد المنعم الحفني، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، بيروت، مكتبة مدبولي، القاهرة، بدون تاريخ، ص518.

البشرية، ذلك لأن هذا البحث كان ملازماً للفكر الفلسفي منذ ظهوره لدى اليونان، لكنه يعد أول من بحث فيها انطلاقاً من المنهج التجريبي. وهو يقصد من المنهج التجريبي تتبع موضوعات الفلسفة من معرفة وأخلاق انطلاقاً من بداياتها الأولى، فهو يدرس المعرفة انطلاقاً من الإدراك الحسي وانطباعات الحواس، ويدرك الأخلاق انطلاقاً من الانفعالات. والحقيقة أن البدء بالإدراك الحسي والانفعالات لدراسة المعرفة والأخلاق يجعل نظريته سيكولوجية، وهو يعترف بذلك بالفعل ويذهب إلى أن علم النفس هو العلم الفلسفي الحقيقي عن جدارة. والملاحظ أن علم النفس الذي يفهمه هيوم هو علم الطبيعة البشرية، ولذلك نستطيع أن نفهم مصطلح "الطبيعة البشرية" باعتبارها العنوان العام لفلسفته على أنه الطبيعة السيكولوجية للبشر. ولهذا السبب ينظر إلى هيوم على أنه من إرهابات علم النفس التجريبي الحديث.

وهكذا، فإن الطبيعة البشرية تكون مركز العلوم وأساسها، ومن الأهمية البالغة أن تُطوّر علماً للإنسان، ولكن كيف يتم ذلك؟ عن طريق تطبيق المنهج التجريبي، "لأن هذا العلم هو الأساس الصلب والوحيد للعلوم الأخرى، لذا فإن الأساس الوحيد الصلب الذي يمكن أن نعطيه لهذا العلم نفسه، لا بدّ من أن يركز على التجربة والملاحظة"<sup>13</sup>. إن غرضه هو تطبيق المنهج التجريبي الذي طبق بنجاح في ميدان العلوم الطبيعية على دراسة الإنسان أيضاً، بمعنى أنه ينبغي أن نبدأ بملاحظة لعمليات الإنسان السيكولوجية، وسلوكه الأخلاقي، وسعيه إلى التيقن من مبادئها وعللها، إلا أنه لا يمكن أن نقوم بتجارب في هذا الميدان بنفس الطريقة الدقيقة التي يمكننا أن نقوم بها في الكيمياء. إلا أنه يجب أن نعتمد على المنهج الاستقرائي بدلا من المنهج الاستنباطي " وحيثما نجمع ونقارن تجارب من هذه النوع بحكمة. فإننا قد نأمل في أن نقيم عليها علما لا يكون وضعيا في اليقين، ويكون أكثر سموا في

---

<sup>13</sup> -فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ترجمة محمود سيد احمد، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح غمام، المجلد الخامس، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص334.



المنفعة، من أي علم بشري آخر<sup>14</sup>. لقد حاول هيوم في أعماله الفلسفية أن يجتنب قدر المستطاع المفاهيم الغامضة والخفية نظير الجوهر والصور النوعية وما إلى ذلك، وأن يولي، في المقابل، اهتماماً أكبر للملاحظة والتجربة، فلم يكن يذعن لتفسير الأحداث عبر الأوصاف الخفية والتحليلات الميتافيزيقية بل كان يعتبر هذا المنهج نوعاً من الافتراضات الخيالية التي حالت دون وصول الأجيال القديمة إلى العلم الحقيقي.

إن استخدام المنهج الاستقرائي في العلوم الإنسانية عموماً والفلسفة على وجه الخصوص، يواجه صعوبات من الناحية المعرفية، ركز جهوده على مبدأ السببية بوصفها عنصراً محورياً لحلّ المفارقة المعرفية الكامنة في نظريته. وبناء على هذا، فقد شغلت السببية حيزاً كبيراً في فكره، وأصبحت بمثابة قطب الرُوح في أعماله الفلسفية، كما أنها تمثل ركيزة أساسية للمنهج التجريبي الذي يقترحه، أن الرؤية الخاصة التي أسس عليها مسعاه حول السببية كانت تتجذر في آرائه الاستمولوجية، ومن أجل ذلك لا يمكن دراسة فكره بمعزل عن نظريته المعرفية.

#### أ- المصدر التجريبي لمبدأ العلية:

يمضي هيوم في اتجاهه التجريبي لتحليل تصوراتنا، منها العلية الذي اتضح أنه ليس تصوراً بسيطاً كما تصوره دعاة المذهب العقلي. إذ إنه " لا يمكننا القول بأن مجرد تحليل العلة يتضمن وجود المعلول كأحد عناصرها"<sup>15</sup> لأن المعلول متميز عن علته، وعلى هذا فإنه لا يمكن منطقياً القول بأنه متضمن فيها. لذا نجد أن علاقة العلية لا تكشف عن ضرورة منطقية، وإنما لكل حادثة علة، مرده إلى التجربة، فهي تكشف لنا " أن ثمة نزعة الذهن تجعله ينسب على الموضوعات الخارجية ويخلع عليها كل الانطباعات الباطنية التي تحدث

<sup>14</sup> فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، مرجع سابق، ص 335.

<sup>15</sup> ماهر عبد القادر محمد، الاستقراء العلمي في الدراسات العربية والغربية. دراسة استمولوجية منهجية التصورات والمفاهيم، دار المعرفة الجامعية، 1998، ص 179.

في عين الوقت الذي تتكشف فيه هذه الموضوعات للحواس<sup>16</sup>. فهيوم ينظر إلى الانطباع الحسي على أنه المعيار الوحيد للكشف عن صدق أيّ فكرة.

هكذا يقوض هيوم القضية الأساسية للمذهب العقلي التي تؤكد فطرية تصور العليّة وقبليته، حيث أصبح التصور في جوهره مستمرا من التجربة الحسية والانطباعات التي نحصل عليها من العالم الخارجي. ومن ثمّ فإنّه تصور يعبر عن علاقة بين حوادث، ويصبح المصدر التجريبي لتصور العليّة، متمثلا في إدراك تتابع بين حادثتين وتلازمهما تلازما متكررا، ومن ثمّ فإنّ فكرة الارتباط الضروري بين الحدثين ما هو إلا عادة نشأت في اذهاننا نتيجة الملاحظة المتكررة وعنها يقوم هيوم: " التعود إذن هو المرشد الأكبر للحياة البشرية إنّه المبدأ الخبرة ذات نافعة لنا، وهو وحده الذي يجعلنا نتوقع في المستقبل سلسلة من الحوادث المتشابهة لتلك التي ظهرت في الماضي"<sup>17</sup>.

### ب- هيوم ومبدأ اطراد الحوادث:

يرى هيوم انه إذا كانت مشاهداتنا السابقة والحالية تجعلنا نقول "الشمس سوف تشرق غدا"، فإن هذا القول ينطوي على اعتقاد فحسب، ولا يتضمن فكرة الضرورة. من هنا بدأ مناقشة مبدأ اطراد الحوادث. لذا: فما موقف هيوم من مبدأ اطراد الحوادث في الطبيعة؟ فكيف يمكننا أن ننقل من وقائع تمّ مشاهدتها إلى وقائع لم يتمّ مشاهدتها؟ وكيف لنا أن نحكم على ما هو كلي انطلاقا مما هو جزئي؟ بمعنى، أن ما سيحدث في المستقبل سيشبه ما حدث في الماضي والحاضر فعلى أيّ أساس يتمّ هذا الانتقال؟ جاءت وجهة نظر هيوم لمشكلة اطراد الحوادث في الطبيعة وذلك من خلال ما يتفق مع الواقع وطبيعته، ويقدم تصوّر لحل المشكلة من خلال التمييز بين القضايا الرياضية والمنطقية من جهة وبين القضايا التجريبية التي لها علاقة بالواقع والعلوم الطبيعية من جهة أخرى، وبهذا الصدد يقول: "يمكن لجميع موضوعات العقل البشري أن تنقسم طبيعيا إلى ضربين هما: علاقات الأفكار

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 180.

<sup>3</sup> - دفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2008، ص 73.

والوقائع. من الضرب الأول علوم الهندسة والجبر والحساب، وباختصار كل اثبات يكون يقينياً إما بالحدس أو بالبرهان.<sup>18</sup>

النوع الأول من القضايا مثل المربع المنشأ على وتر المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين، هذا النوع من القضايا لا يتوقف صدقه على الواقع التجريبي لأنها قضية صادقة صدقا مطلقا، ولا يمكن تصور نقائص تلك القضايا. أما النوع الثاني، القضايا المتصلة بالواقع الاستقرائي فإن صدقها يتوقف على الواقع، أي على التحقيق التجريبي لها. فالخبرة هي التي تكشف لنا صدق القضية.

وبذلك فهيوم هنا يرى بأن البراهين التي تجعلنا نعتقد بأن ما حدث في الماضي سيحدث مثله في المستقبل فيجب أن تكون براهين احتمالية لا يقينية، بمعنى إننا بإمكاننا أن نعتقد بأن ما حدث في الماضي سوف يشبه ما يحدث في المستقبل، لكن يجب أن تكون هذه الأدلة التي نثق بها أدلة احتمالية وهذا فيما يتعلق بقضايا الواقع. ولكن ما الدليل على هذا الاعتقاد؟ بهذا الصدد يقول هيوم: "قلنا إن جميع الحجج المتعلقة بالوجود تتأسس على علاقة السبب بالأثر وإن معرفتنا بهذه العلاقة تستمد بكاملها من الخبرة وإن جميع خلاصتنا التجريبية تستمد من الافتراض أن المستقبل سيكون مطابقا للماضي، إن محاولة التدليل على هذا الافتراض الأخير بحجج ترجيحية، أي حجج تتعلق بالوجود، تعني إذن بالضرورة الدوران في حلقة مفرغة وحسبان المطلوب بمثابة معطى".<sup>19</sup>

وهكذا نجد أنه لا يمكننا اثبات مبدأ اطراد الحوادث اثباتاً تجريبياً من الخبرات الماضية والحاضرة، لأن الوسيلة الوحيدة لإثباته هو أن ننتظر المستقبل لتؤيده الوقائع، ولكن في هذا الانتظار نفترض ما نريد اثباته وبذلك لا يمكن اثبات مبدأ الاطراد بيقين، ومن ثم فإن صدق النتيجة الاستقرائية العامة أي القانون العام صدق احتمالي.

<sup>18</sup>- دفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، مرجع سابق، ص 49.

<sup>19</sup>- دفيد هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية، مرجع سابق، ص 62.